Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقول ابن رشيق:

أصَحُ وأقوي ما سمعناه في الندى ... من الخبر الماثور منذُ قديم

أحاديثُ ترويها السُّيولُ عن الحيا ... عن البحرِ، عن كَفِّ الأميرِ تميم

فإنه ناسب بين الصحة، والقوة والسماع، والخبر المأثور، والأحاديث، والرواية، ثم بين السيل، والحيا، والبحر، وكف تميم، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في العنعنة؛ إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر، كما يقع في سند الأحاديث: فإن السيول أصلوها المطر، والمطر أصله البحر على ما يقال؛ ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة»(٩٢)

فجميع أسماء هذا الفن*١ ـ خاصة التناسب ـ تعكس الوظيفة التي يحققها هذا الفن، وهي وظيفة تحقيق التناسب بين لفظتين أو أكثر وهو تناسب قوي جداً؛ إلى حد اعتبار كل لفظة من هاتين اللفظتين مناظرة أو نظيره للأخرى (مراعاة النظير)، وهو تناسب كشف عن مردودة ابن أبي الإصبع المصري، حين وقف أمام بيت المتنبي:

علي سابحٍ مَوْجُ المنايا بنَحْرِهِ ... غَدَاة كان النَّبْلَ في صدرِه وبلُ

حيث قال: «فإن بين لفظ السباحة ولفظ الموج، ولفظة الوبل تناسباً معنوياً؛ صار البيت به متلاحماً شديد ملاءمة الألفاظ»(٩٣)

ووجه أو أوجه التناظر لا تعد ولا تحصى، ومنها ما يمكن تحديده أو تسميته، كتلك التي حددها السجلماسي، حين قال: «والمناسبة في أجزاء القول اسم جزء متوسط تحته أربعة أنواع: **الأول: إيراد الملائم، الثاني: إيراد النقيض، الثالث: الانجرار، الرابع: التناسب**، وذلك لأن المناسبة في أجزاء القول هي على أربعة أنحاء: أحدها: أن يأتي بالشيء وشبيهه، مثل الشمس والقمر، والسنان والصارم، والسرج واللجام، والسيف والفرند، وهذا النوع هو الملقب بإيراد الملائم. أو يأتي بالأضداد، مثل: الليل والنهار، والصبح والمساء، والحياة والموت، وهذا النوع هو الملقب بإيراد النقيض*، أو يأتي بالشيء وما يُستعمل فيه، مثل: القوس والسهم، والفرس واللجام، والقلم والدواة، والقرطاس والعلم، وهذا النوع هو الملقب بالانجرار، أو يأتي بالأشياء المتناسبة، مثل: القلب والملك؛ إذ يقال نسبة القلب في البدن نسبة الملك في المدينة، وهذا النوع هو الملقب بالتناسب(٩٤) ومن هذه الوجوه ما لا يمكن تحديده أو تسميته كالتي أطلق عليها السجلماسي (التناسب).